الذي أقيم فيه . والمغاني : المنازل التي كان بها أهلوها . وطفقت : يغني ظلّت . تبكي على عراصها عيناها ، عيناها هاهنا للسحاب . وجعل المطر بكاء من السحاب على طريق الاستعارة وتسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه [1] » .

ولقد كانت هذه الملاحظات البلاغية التي أوردها الجاحظ هي السبب الذي جعل بعض الباحثين يعتقدون « أن الجاحظ ومعاصريه قد فهموا الصلة بين المشبَّه به والمشبَّه فهماً صحيحاً ، وأنهم أخذوا يُخضعون الأدب ، وإن كان الأدب القرآني ، للمعايير النقدية والبلاغية في حرية وصرامة » [2] .

والحقيقة أن الجاحظ على كثرة ما كتب في البلاغة لم يكن يُعنى بوضع المصطلحات ، أو صياغة التعريفات والحدود ، وإنما كان أديباً بليغاً بطبعه وعقله وذوقه ، فكان يقف أمام النصوص ليشرحها ، أو يعلّق عليها ، أو يدلّ على ما فيها من مواطن الجمال أو حسن البيان مستعيناً على ذلك بشواهد كثيرة يمدّه بها محفوظ وافر من القرآن

---

(١) البيان والتبيين ١ : ١٥٣

(٢) البلاغة العربية للدكتور سيد نوفل : ١٣٩ وانظر أيضاً أثر القرآن في تطور النقد العربي : ٨٠ - ٩٨